دولة الإمارات العربية المتحدة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

مجلة علمية محكمة

العدد الواحد والخمسون

51

البريد الإلكتروني iascm@emirates.net.ae
الموقع الإلكتروني www.islamic-college.ae

1437هـ /2016 م

اقرأ في هذا العدد

كلمة المشرف العام: القراءة في ضوء مؤشرات الجهد والثمرة

مرويات سعيد بن المسيب عن أبي الدرداء، دراسة استقرائية نقدية

مفهوم الصفة عند الأصوليين وأثره في اختلاف الفقهاء

إرث الحقوق المعنوية المالية بين الإطلاق والتقييد - دراسة تأصيلية فقهية مقارنة

التأويل الفقهي دراسة تطبيقية في الأحوال الشخصية

المرتكزات اللسانية النصية - بحث في الأسس المعرفية والمنطلقات المنهجية

التناص وتجليات الخلق والبعث في ديوان الشاعر محمد مقدادي «سلالة الطين»

الرؤية والتشكيل - دراسة في البنية الضدية في شعر أبي تمام: قصيدته العينية أنموذجاً

الشعر مسرودًا في همزية عبيد الله بن قيس الرقيات

تضافر الخطابات في رحلة «عين وجناح»

حكاياتُ شوقي الشّعريّة في ضوء نظريّة التّلقّي

البحر الميت في المصادر الأوروبية في عصر الحروب الصليبية

الفوائد في اليَاءاتِ الزَّوَائِد نَظْم - أبي يوسُف يعقوب بن بدران بن منصور الجَرائديّ (ولدَ بُعيد٦٠٠هـ - وتوفّي٦٨٨ هـ) - دراسة وتحقيق وشرح

المرتكزات اللسانية النصية

– بحث في الأسس المعرفية والمنطلقات المنهجية –

أ. د. أحمد حساني
كلية الدراسات الإسلامية والعربية دبي

ملخص البحث

إنَّ الخاصية المميزة لبنية النص، من حيث هو نظام من العلامات الدالة، تستدعي تكامل معارف، وتلاقي إجراءات تطبيقية، لمقاربة النص المنجز في الثقافة الإنسانية. وهو الأمر الذي جعل لسانيات النص تتبوأ مكانة علمية ومنهجية تؤهلها مرجعياً وإجرائياً لإيجاد إجابات علمية كافية لكثير من التساؤلات التي تطرحها إشكالية النص، وتذليل الصعوبات والمعوقات التي تعترض سبيل القارئ المفترض لنص ما، على اختلاف المرجعيات الفكرية التي تؤطر ذلك النص.

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن كثير من الأسئلة التي لها صلة بواقع التجربة اللسانية النصية العالمية، ومدى تأثير ذلك كله في الوعي المنهجي في الثقافة اللسانية العربية المعاصرة. نجتزئ بذكر بعضها ههنا لأهميته:

١- كيف يمكن لنا أنْ نستثمر بوعي علمي عميق الإنجازات المعرفية والمنهجية المحققة في التجربة اللسانية النصية العالمية لترقية ثقافة القراءة، وتحيين آليات تفسير النصوص وتأويلها؟

٢- ما الطرائق الناجعة التي يمكن اعتمادها للانتقال بيسر من لسانيات الكفاية اللغوية التركيبية إلى لسانيات الكفاية النصية الخطابية؟ وما السبل المؤدية إلى إدماج مقاربة النص / الخطاب في المنهج اللساني النصي أو التداولي أو هما معا؟

٣- إلى أي حد استطاعت الدراسات اللسانية النصية أنْ تؤسس لنفسها جهازًا من المفاهيم والاصطلاحات لتعزز به حضورها في فضاء ثقافة النص؟

٤- هل الإجراءات التطبيقية المعتمدة في لسانيات النص كافية لإيجاد بديل منهجي مؤهل لإضفاء الشرعية على وجودها، وتحديد خصوصيتها، وضمان استمراريتها؟

مقدمة منهجية

إنَّ نظرة عجلى في المسار الذي سلكته العلوم الإنسانية في تاريخها الطويل ترشدنا بكل يسر إلى أنَّ احتواء المعرفة اللسانية العالمية يستدعي بالضرورة اكتساب مهارة التفاعل الواعي مع هذه المعرفة، سواء أكان هذا التفاعل على مستوى إدراك منطلقاتها المنهجية، وتمثل مفاهيمها واصطلاحاتها، أم كان على مستوى توظيف معطياتها النظرية، واستثمارها استثمارًا هادفًا لترقية الوعي المنهجي في الثقافة اللسانية العربية المعاصرة.

ومن ههنا، فإنَّ أدنى تأمل في التراكم المعرفي لثقافة النص، في الخطاب اللساني المعاصر، يهدي إلى أنَّ المقاربة اللسانية النصية تستمد مرتكزاتها المعرفية وآلياتها المنهجية من التأطير المرجعي للنظرية اللسانية المعاصرة، على اختلاف مدارسها واتجاهاتها؛ فإذا هي قطب الرحى لأي إجراء يتخذ النص / الخطاب موضوعًا له، مهما كان السياق الثقافي والحضاري الذي ينتمي إليه ذلك النص.

أمست المقاربة اللسانية، حينئذ، منهجًا إجرائيًا يحتل بجدارة الاستحقاق حيزًا رحبًا في ثقافة القراءة، وتفسير النصوص وتأويلها، وهو الأمر الذي أدى إلى تعميق المرتكزات المعرفية، وتأسيس المفاهيم، وترقية المنهج، والتعامل مع النصوص، من حيث هي أنساق من العلامات الدالة التي يصطنعها المجتمع اللغوي لتعزيز نزعة التواصل بين أفراد المجتمع البشري.

ومن هذا المنطلق فإنَّ الخاصية المميزة لبنية النص، من حيث هو نسق من العلامات الدالة، تستدعي تكامل معارف، وتلاقي إجراءات ومهارات تطبيقية،

لمقاربة النص المنجز في الثقافة الإنسانية. وهو الأمر الذي جعل لسانيات النص تتبوأ مكانة علمية ومنهجية تؤهلها مرجعياً وإجرائياً لإيجاد إجابات علمية كافية لكثير من التساؤلات التي تطرحها إشكالية النص، وتذليل الصعوبات والمعوقات التي تعترض سبيل القارئ المفترض لنص ما، على اختلاف المرجعيات الفكرية التي تؤطر ذلك النص.

وفي ظل هذه الاهتمامات التي أومأنا إليها، يكون خليقًا بنا أنْ نطرح كثيرًا من الأسئلة التي لها صلة بواقع التجربة اللسانية النصية العالمية، ومدى تأثير ذلك كله في الوعي المنهجي في الثقافة اللسانية العربية المعاصرة. نجتزئ بذكر بعضها ههنا لأهميته:

١- كيف يمكن لنا أنْ نستثمر بوعي علمي عميق الإنجازات المعرفية والمنهجية المحققة في التجربة اللسانية النصية العالمية لترقية ثقافة القراءة، وتحيين آليات تفسير النصوص وتأويلها؟

٢- ما الطرائق الناجعة التي يمكن اعتمادها للانتقال بيسر من لسانيات الكفاية اللغوية التركيبية إلى لسانيات الكفاية النصية الخطابية؟ وما السبل المؤدية إلى إدماج مقاربة النص / الخطاب في المنهج اللساني النصي أو التداولي أو هما معًا؟

٣- إلى أي حد استطاعت الدراسات اللسانية النصية أنْ تؤسس لنفسها جهازًا من المفاهيم والاصطلاحات لتعزز به حضورها في فضاء ثقافة النص؟

٤- هل الإجراءات التطبيقية المعتمدة في لسانيات النص كافية لإيجاد بديل منهجي مؤهل لإضفاء الشرعية على وجودها، وتحديد خصوصيتها، وضمان استمراريتها؟

تسعى هذه الدراسة التي نحن بسبيلها إلى إيجاد إجابات علمية كافية لمثل هذه الأسئلة الاستراتيجية في تشكل المعرفة اللسانية النصية التي ما فتئت تشغل بال محللي الخطاب الأدبي واللسانيين، والتفكير في الآن نفسه في تهيئة الأرضية معرفيًا ومنهجيًا لإمكانية وجود تصور لساني - نصي عربي أصيل.

أولا: مرحلة ما قبل لسانيات النص: الحضور والغياب

إذا ما التفتنا التفاتة عجلى إلى المناخ المعرفي الذي نشأت في رحابه لسانيات النص، سندرك أنَّ المقاربة اللسانية النصية تستمد شروط وجودها من الإرث المعرفي للنظرية اللسانية المعاصرة على اختلاف مدارسها واتجاهاتها، فهي تعتمد على تلك الإنجازات اللسانية المحققة قبل نشأتها، وتتجاوزها في الوقت نفسه. تعتمد عليها؛ لأنَّها تستمد منها التأطير المرجعي (النظري)، وتتجاوزها لأنَّ للسانيات النص آليات خاصة في التعامل مع النص موضوعها المحدد والوحيد.

من هنا كان الحضور وكان الغياب، فالحضور لأنها مؤطرة بمرجعية تستمد أصولها من ذلك الثراء المعرفي الناتج عن الإنجازات العلمية الكثيفة في تاريخ الفكر اللساني العالمي؛ أي حضور الإرث المعرفي للنظرية اللسانية المعاصرة. وأمَّا الغياب فلأن لسانيات النص تتوخى التميز بمنطلقاتها المنهجية، وآلياتها الإجرائية، . فهي، حينئذ، لم تنشأ من العدم، وما ينبغي لها ذلك، بل هناك علاقة سلالية بينها وبين اللسانيات البنيوية - الوظيفية والتوزيعية والتوليدية والتحويلية.

وإذا كان الأمر كذلك فلا مناص، حينئذ، من الوقوف عند ثلاث محطات كبرى كان لها تأثير مباشر وغير مباشر في تهيئة الأرضية المنهجية لحضور النص في الدراسات اللسانية.

أ- سلطة النسق:

أضحت اللسانيات في مطلع القرن العشرين منوالاً علميًا يحتل موقعًا مركزيًا في ميادين شتى من ميادين العلوم الإنسانية، وكان ذلك بخاصة بعد نشر كتاب دي سوسير دروس في اللسانيات العامة سنة ١٩١٦، وهو الأمر الذي أدى إلى إثراء المقاربة العلمية للظاهرة اللسانية، من حيث هي نسق مكون من علامات دالة، بمفاهيم جديدة وإجراءات تطبيقية أسهمت في ترقية الفكر اللساني المعاصر.

يقوم مفهوم النسق Système / System، على إدراك كلي شمولي لعناصر ترتبط فيما بينها وتتفاعل بحكم علاقات ثابتة تحافظ على استمرارية النسق وبقائه، وهكذا عُدّتْ اللغة نسقًا، فرسخت اللسانيات الوصفية هذا المبدأ الذي أفرز منهجًا خاصًا سرعان ما تجاوز حقل اللغة، وانتقل إلى جميع المعارف الإنسانية، منها بالخصوص الدراسات النفسية والاجتماعية والأنثروبولوجية والنقد الأدبي (تبدَّى ذلك في مرحلته الجنينية على يد الشكلانيين الروس).

كانت أول محاولة جادة قام بها دي سوسير (Ferdinand De Saussure) (١٨٥٧- ١٩١٣) في مجال تأسيس المعرفة اللسانية هو تناوله موضوع العلامة داخل نطاق النسق اللساني؛ إذ إنَّها الوحدة الدالة التي يرتكز عليها هذا النسق؛ لأنَّ طبيعة المنهج العلمي الذي تبناه في مجال البحث اللساني أفرز رؤية تعاملية تميل إلى الشيء المحدد والمتجانس في ذاته، فكانت فكرة النسق اللساني (Système linguistique) الذي يتكون من وحدات أساسية متوافقة فيما بينها تسمى هذه الوحدات بالعلامات (Signes).[1]

يتميز النسق اللساني بالتجانس التام بين عناصره، تلك العناصر التي تتفاعل

1- Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale. Édition critique préparée par Tullio de Mauro. Paris: Payot 1983 p31.

فيما بينها داخل كُلّ شمولي موحد تحكمه علاقات وقوانين داخلية. وظلت هذه المبادئ التي قال بها دي سوسير تعيد نفسها في أشكال جديدة لاحقًا ضمن إنجازات المدارس اللسانية المتعاقبة في المسار التحولي للفكر اللساني المعاصر.

ب– سلطة البنية – الوظيفة:

أخذت البنية حيزًا رحبًا في إنجازات مدرسة براغ[٢] Ecole linguistique de Prague[٣]، إذ انصرفت جهود أتباع هذه المدرسة اللسانية إلى تعزيز مقاربة النسق اللساني من حيث كونه بنية متجانسة بتجانس عناصرها، إذ تتحقق هذه البنية في حالة لغة (في مكان وزمان محددين).

يتميز منهج مدرسة براغ في مقاربة النسق اللساني بجميع مكوناته (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية) مقاربة وظيفية؛ لأنَّ اللغة في نظر اللسانيين المنتمين إلى هذه المدرسة هي نسق من الوظائف، وكل وظيفة هي نسق من العلامات. وهذا مخالف لما قال به دي سوسير (اللسان نسق من العلامات).[٤]

وبناء على هذا التصور لعمل العناصر اللغوية انطلاقًا من وظيفتها وليس من شكلها، انصرفت جهود أتباع هذه المدرسة إلى ترسيخ مفهوم البنية (Structure)، انطلاقًا من مفهوم النسق (System / Système) عند دي سوسير، وعلى الرغم

٢- براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا (Tchecoslovaquie) سابقًا منذ ١٩١٨ (اتحاد بين جمهورية التشيك وجمهورية سلوفاكيا)، حُلَّ الاتحاد بين الجمهوريتين سنة ١٩٩٢، فأصبحت براغ عاصمة جمهورية التشيك République tchèque منذ ١٩٩٣.

٣- تُعَدُّ مدرسة براغ امتدادًا للمدرسة الروسية، وما كان ذلك إلا لأنَّ جل الباحثين في هذه المدرسة هم من النازحين الروس (كارسفسكي وتروبتسكوي وجاكبسون) بالإضافة إلى اللغويين التشيكيين أمثال ماثسيوس Vilém Mathesius وترنكا Trnka B. (١٨٩٥-١٩٨٤)، وفاشيك Josef Vachek. وبدأت الأسس الأولية لهذه المدرسة ابتداء من سنة ١٩٢٠، وهي السنة التي وصل فيها النازحون الروس إلى براغ، ثم أخذت طابعها المميز ابتداء من عام ١٩٢٨، تاريخ انعقاد أول مؤتمر دولي للسانيات بلاهاي، وهو المؤتمر الذي ظهرت في رحابه الفونولوجيا المعاصرة.

٤- ينظر أحمد مومن، اللسانيات: النشأة والتطور ط٢، ديوان المطبوعات الجامعية ط٢، الجزائر (٢٠٠٥) ص ١٣٦.

من أنَّ دي سوسير لم يستخدم مصطلح بنية، فإنَّه أوحى به في تمثله تجانسَ النسق اللساني الذي يتكون من عناصر ترتبط فيما بينها بحكم قوانين معينة، وأنَّ أي تغيير في قانون من هذه القوانين سينعكس على الكل (النسق أو البنية).

تتحدد قيمة اللغة الإنسانية انطلاقًا من وظيفتها، بوصفها وسيلة اتصال يتخذها أفراد المجتمع اللغوي لتحقيق عملية التواصل. فلم تعد اللغة شكلاً فحسب، بل أمست وظيفة، فقيمة العنصر اللساني داخل النسق اللساني تكمن في وظيفته التي يؤديها، وفي موقعه الذي يحتله في سلسلة العناصر المكونة للأداء الفعلي للكلام. وكان مصطلح الوظيفة المرتكز الأساس الذي تجمعت حوله أفكار جماعة براغ.

هناك حرص شديد لدى أتباع مدرسة براغ على إعادة الاعتبار للبعد الوظيفي للغة الإنسانية، من حيث هي وسيلة يستخدمها أفراد المجتمع اللغوي لتحقيق عملية التواصل، ومن ثمة فإنَّ قيمة العنصر اللغوي داخل النسق اللساني تكمن في وظيفته التي يؤديها، وليس في شكله فقط. هذه الوظيفة هي التي تعزز وجوده ضمن العناصر الأخرى التي تكون سياقه المألوف في النسق اللساني.

ومن ههنا اكتسبت مدرسة براغ صفة البنيوية نظرًا لتمسكها بمفهوم البنية من وجهة نظر وظيفية، فدراسة عناصر البنية اللسانية تعني هندسة العناصر المكونة للبنية، والتعامل معها في ذاتها دون النظر إلى المؤثرات المتوقعة خارج البنية نفسها.[٥]

ج- سلطة الجملة:

حظيت الجملة بتدارس أوفر في رحاب المدرسة اللسانية الأمريكية التي أخذت طابعها الخاص الذي ميزها عن النشاط اللساني الأوروبي، ويظهر ذلك

٥- ينظر عبد القادر المهيري وآخرون، أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس ١٩٨٦، ص٣٨.

جليًا بخاصة عند ليونارد بلومفيلد[٦] (L. Bloomfield) (١٨٨٧ - ١٩٤٩) حين أصدر كتابه: اللغة (Langage / Languge)، عام ١٩٣٣ الذي هيأ الدراسة اللسانية في أمريكا منهجيًا لكي تنعت بالبنيوية والوصفية تارة، والتوزيعية تارة أخرى.

ينعت المنهج الأساس المعتمد في تحليل البنية التركيبية لدى التوزيعيين بالتحليل إلى مؤلفات، إذ تفكك بنية الجملة عن طريق هذا التحليل ليس على أساس أنَّها مؤلفة من طبقات مرصوفة بعضها بجانب بعض، بل على أساس أنَّها مؤلفة من طبقات من مكونات الجملة بعضها أكبر من بعضها الآخر، إلى أنْ يتم تحليلها إلى عناصرها الأولية من المورفيمات[٧]. ذلك أنَّ المورفام (Morphème) وحدة دنيا تفيد دلالة يبرزها التحليل. وبهذه الطريقة وحدها يمكن للباحث في ميدان اللسانيات ضبط الأشكال اللسانية في أي لغة من اللغات وتصنيفها؛ لأنَّ «النحو حسب هذه المدرسة هو علم تصنيفي غايته ضبط الصيغ الأساسية في اللغة حسب درجة التواتر لا غير».[٨]

- الدراسة التركيبية التوليدية والتحويلية:

أحدث التحول النظري للسانيات - خاصة في أمريكا - ثورة داخل الدراسة التركيبية البنيوية، أوبالأحرى الدراسة التركيبية التوزيعية؛ حيث بدأت الإرهاصات الأولى لإعادة صياغتها وإخراجها في شكلها الجديد تتجلى في مرحلتها الجنينية مع فكرة التحويل التي تبناها اللساني الأمريكي ز.هاريس (Zellig Sabbetai

٦- ل. بلومفيلد Leonard Bloomfield (١٨٨٧ / ١٩٤٩) لساني أمريكي ينسب إليه الاتجاه البنيوي التوزيعي المتأثر بعلم النفس السلوكي، اشتهر بكتابه: اللغة Language الذي نشر سنة ١٩٣٣.

٧- ينظر نايف خرما، مرجع سابق، ص ٢٩٠.

٨- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل ألسني في نقد الأدب، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس ١٩٧٧، ص ٢٠٤.

Harris)[٩] مبكراً وهو قطب من أقطاب المدرسة التوزيعية، وإنْ كانت هذه المحاولات تبدو ناقصة بإغفالها الجانب الدلالي، إلا أنَّها كانت تكفي مرحليًا لتقديم تجارب مفيدة أدت إلى الترميم الذاتي لتلك النظرية وتحسينها، وإلى ولادة نظرية جديدة أكثر اكتمالاً.[١٠]

كانت كتابات تشومسكي الأولى لا تتعدى حدود مبادئ اللسانيات التوزيعية بوصفه تلميذًا لهاريس، لكن مع صدور كتابه الأول (١٩٥٧) البنى التركيبية Syntactic Structures / Structures syntaxiques أخذت المفاهيم التوزيعية تتراجع عن مركز الصدارة لتحل محلها مفاهيم جديدة. ثم كان كتابه: أوجه النظرية التركيبية Aspects of the Theory of Syntax / Aspects de la théorie syntaxique الذي أصدره عام (١٩٦٥) بلورة شبه مكتملة للنظرية التوليدية والتحويلية المعدَّلة.

كانت ثورة تشومسكي في إطار البحث اللساني مفارقة منهجية في الواقع، مفارقة بين النزعة العقلانية والنزعة التجريبية، ثم كرست النتائج المحصل عليها في مجال البحث اللساني لدحض الفكر السلوكي، والنزعة التجريبية حول طبيعة الذهن الإنساني.[١١]

ونظرًا للأهمية التي تكتسيها هذه النظرية اللسانية صارت الأوسع انتشارًا، والأكثر توافقًا مع طبيعة اللغة البشرية، ولم تأت هذه النظرية دفعة واحدة، بل مرت بمراحل اقتضتها طبيعة البحث العلمي المتجدد.

٩- زليق هاريس (١٩٠٩-١٩٩٢): لساني أمريكي، ارتبط اسمه باللسانيات البنيوية وتحليل الخطاب.

١٠- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، الطبعة الثانية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي ٢٠١٣ ص ٢٠٠.

١١- جون سيرل، تشومسكي والثورة اللغوية، مجلة الفكر العربي عدد ٨، ٩ يناير، مارس (١٩٧٩)، ص ١٢٤.

لقد ظهرت هذه النظرية بشكلها الأولي في المرحلة التأسيسية التي تُعْرَفُ بمرحلة البنى التركيبية، أو بالنظرية الكلاسيكية، وهي المرحلة التي بدأت بصدور كتاب البنى التركيبية (١٩٥٧) الذي استطاع تشومسكي أنْ يحدد من خلاله الإطار النظري لهذا التحول في مسار البحث اللساني، حيث أصبح الهدف المتوخى من البحث اللساني آلية استكشافية وتحليلية للبنى التركيبية، وتعليل القدرة الضمنية الكامنة وراء بناء الجمل؛ «لأنَّ البنى التركيبية للغات الإنسانية تنشأ عن الخصائص الفطرية للفكر الإنساني، ولا ترتبط هذه البنى بأي علاقة مهمة مع الاتصال (...) على الرغم من أنَّ الأشخاص يستخدمونها - بالطبع - في سبيل عدة أمور منها الاتصال».[١٢] وبهذا أضحت الجملة المدار الرئيس للنظرية التوليدية والتحويلية، وركنًا ركينًا من بنائها النظري.

وفي ضوء هذا المنحى فإنَّ اللغة في نظر تشومسكي لا تعدو أنْ تكون «مجموعة متناهية، أو غير متناهية من الجمل، كل جملة منها طولها محدود، ومكونة من مجموعة متناهية من العناصر، كل اللغات الطبيعية في شكلها المكتوب والمنطوق تتوافق مع هذا التعريف، وذلك لأنَّ كل لغة طبيعية تحتوي على عدد متناه من الفونيمات، علمًا بأنَّ عدد الجمل غير متناه».[١٣]

يختلف مفهوم التحويل من اتجاه لساني إلى آخر، فهو «عند هاريس يختلف عما هو عليه عند تشومسكي، هو عند الأول مشروط بإجراء توزيع الكلمات واستبدالها، بينما هو عند الثاني مشروط بالجانب الذهني للمقولات النحوية».[١٤]

لقد بلغ التحليل التركيبي مستواه المتوخى في ضوء التطور الذاتي للنظرية

١٢- المرجع نفسه، ص ١٣٤.

13- Noam Chomsky, Structures syntaxiques: trad de l'anglais par Michel Braudeau, Éditions du Seuil, 1969,p22.

١٤- صالح الكشو، الوضع الابيستمولوجي للسانيات، مجلة المعرفة، عدد ٢٦٦، أبريل ١٩٨٤، دمشق. ص١٩.

التوليدية والتحويلية، كما أرادها صاحبها الذي ما انفك يسعى إلى تطويرها وتهذيبها حتى اكتملت، وآتت أكلها في كتابه (أوجه النظرية التركيبية) (١٩٦٥)، وهو الكتاب الذي يعد مرحلة حاسمة في مجال التنظير الفعلي للسانيات التوليدية والتحويلية، حيث برزت هذه النظرية بصورة بائنة في مبادئها ومجال تطبيقها في ظل المدد التنظيري الذي دُعِّمت به والذي غطى ما أغفلته نظرية البنى التركيبية (١٩٥٧).

ثانيا: لسانيات النص: البدء والمآل:

يجمع الذين تعقبوا المسار التحولي للسانيات النص على أنَّ النشأة الجنينية لهذا التأسيس المعرفي والمنهجي للمقاربة النصية بدأت تتشكل في بداية النصف الثاني من القرن العشرين، تبدَّى هذا التأسيس واضحًا في أعمال مجموعة من الباحثين الألمان ابتداء من سنة ١٩٦٨ [١٥] بإشراف فايرنيش H.Weinrch [١٦] وهارتمان P. Hartmann و شميث [١٧] S.F.Schmidt وغيرهم من الباحثين المنشغلين بإعادة الاعتبار للنص المغيب في الدراسات اللسانية البنيوية، حيث انعقد أول مؤتمر لمناقشة دواعي اعتماد المقاربة اللسانية النصية (لسانيات النص) في التعامل مع النص قراءة وتفسيرًا وتأويلاً، والبحث في الآليات التي يمكن استرفادها لتعزيز المنهج اللساني النصي المتوخى. كان ذلك في جامعة كونستانس Konstanz [١٨] بإشراف هارتمان Hartmann الذي أنشأ بعد ذلك مختبرًا أو

١٥- يرى بعض الباحثين أنَّ الملامح الأولى للسانيات النص بدأت تلوح في الأفق في ألمانيا، في الفترة ما بين ١٩٣٠ - ١٩٤٠، وكان الهدف آنذاك إيجاد نظرية للأدب ترتكز على المفاهيم اللسانية.

4. Lita Lundquist, La cohérence textuelle: Syntaxe, Sémantique, Pragmatique p11

16- Harald Weinrich 1969: «Textlinguistik: Zur Syntax des Artikels in der Deutschen Sprache», Jahrbuch für Internationale Germanistik 1, Berne/Frankfort, 61-74.

١٧- س.ج سميث Siegfried Johannes Schmidt، ولد بـ: Jülich لغوي وفيلسوف وعالم اجتماع

١٨- كونستانس(Konstanz) مدينة تقع في أقصى جنوب ألمانيا على بحيرة كونستانس على الحدود مع سويسرا. يبلغ عدد سكانها حوالي ٨٠ ألف نسمة لتكون بذلك أكبر مدينة مطلة على هذه البحيرة.

مركزًا جديدًا للبحث اللساني النصي تجلت معالمه المعرفية والمنهجية في محاضراته المتميزة (النصوص موضوع لغوي)[١٩] تلك المحاضرات التي وطأت السبيل المنهجي لوضع معايير النصية انطلاقًا من نظرته للنص من حيث هو علامة كلية.[٢٠]

لقد تَعَمَّقَ هذا التأسيس، وأخذ طابعه المعرفي والمنهجي المتميز على يد الباحث الهولندي فان دايك Van Dijk [٢١] الذي بشر يومها باستشراف آفاق نيرة للمقاربة النصية لتوسيع المجال الإدراكي والإجرائي للمنهج اللساني الوصفي، أو البنيوي لتخطي بنية الجملة المغلقة، والتحرر من سلطتها. و قد أومأ إلى ذلك بواضح العبارة قائلا: «لقد توقفت القواعد واللسانيات التقليدية غالبًا عند حدود وصف الجملة، وأمَّا في علم النص، فإنَّنا نقوم بخطوة إلى الأمام، ونستعمل وصف الجمل بوصفه أداة لوصف النصوص، وما دمنا نستتبع هنا المكونات المعتادة للقواعد، وسنستعمل النصوص المستخدمة بغية وصف الجمل، فإنَّنا نستطيع أنْ نتكلم عن قواعد النص».[٢٢]

كان هذا التصريح منه بمثابة الإعلان عن ميلاد علم جديد يتخذ النص موضوعًا له، يستمد منهجه من التجربة اللسانية السابقة لإيجاد منهج بديل يعزز حضور النص في الثقافة اللسانية. «وكان فان دايك Van Dijk يسعى من خلال هذا التوجه إلى إقامة لسانيات نصية تدرس البنية النصية، ومظاهر التماسك في النص، ويأخذ في الاعتبار كل الأبعاد البنيوية والسياقية والثقافية».[٢٣]

19- Text als linguistiche

٢٠- سعيد حسن بحيري علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ط١ ٢٠٠٤ ص ٢٤٨

٢١- ت.أ. فان دايك Teun Adrianus van Dijk ، ولد بـ: Naaldwijk(Pays-Bas) باحث هولندي له اهتمامات بلسانيات النص وتحليل الخطاب.

٢٢- فندايك، النص بنى ووظائف مدخل أولي إلى علم النص، ترجمة منذر عياشي، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٤م، بيروت، ١ / ١٤٧

٢٣- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص - السياق، المركز الثقافي العربي بيروت والدار البيضاء، ١٩٨٩ ص ١٥.

كان البدء في الانصراف نحو النص انطلاقًا من إرهاصات سابقة لاكتمال المقاربة النصية منها:

- رسالة I.Nye وهي باحثة أمريكية قدمت أطروحتها للدكتوراه سنة ١٩١٢، تضمنت مبحثًا يتعلق بالترابط بين الجمل توحي بضرورة تجاوز الجملة في التحليل اللساني.[٢٤]
- أبحاث الفيلولوجي الروماني الإسباني Eugenio. Coseriu (١٩٢١ ٢٠٠٢) التي استخدم فيها مصطلح لسانيات النص «Linguistica del texto». بخاصة في مقال له نشر سنة ١٩٥٥.[٢٥]

وتعد تجربة زليغ هارس Zellig Harris [٢٦] المنطلق الأساس للتفكير بجدية في إيجاد لسانيات تنفرد بالنص، وكان البدء عندما انصرف هاريس بالدراسة اللسانية البنيوية نحو تحليل الخطاب Discourse analysis [٢٧] كان ذلك ابتداء من ١٩٥٢، إذ وطأ السبيل لإمكانية وجود منهج لتحليل الخطاب المترابط Connected، سواء أكان ذلك في حالة النطق Speech، أم في حالة الكتابة Writing، يمكن لهذا المنهج، كما كان يتوخاه هاريس، أنْ يرقى بالدراسة اللسانية البنيوية لتتحرر من سلطة الجملة من أجل استكشاف بنية النص Structure of the text باستخدام الإجراءات اللسانية الوصفية Descriptive linguistics نفسها.[٢٨]

٢٤- ينظر سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ١٩٩٨ ص ١٨.

25- Eugenio Coseriu 1955-56: «Determinación y entorno. De los problemas de una lingüística del hablar», Romanistisches Jahrbuch 7, Berlin, 29-54; repris dans Teoría del lenguaje y lingüística general, Madrid, Gredos, 1973: 282-323.

٢٦- زليغ هاريس (١٩٠٩-١٩٩٢): لساني أمريكي، ارتبط اسمه باللسانيات البنيوية وتحليل الخطاب.

27- Zellig Harris. Discourse analysis. PT30 Language.Vol 28 No t 1952

٢٨- ينظر جميل عبد المجيد البديع، بين البلاغة العربية ولسانيات النص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨ ص٦٥.

ولا يمكن لهذا المنهج أنْ يتحقق في الواقع إلا بتجاوز الإخفاقات التي عاقت سبيل الدراسة اللسانية الوصفية بعامة، واللسانيات التوزيعية بخاصة. ومن هذه الإخفاقات المنهجية:

١- اكتفاء الدراسة اللسانية بالجملة، من حيث هي المرتكز الأساس في التحليل اللساني.

٢- إقصاء البعد الاجتماعي في التحليل اللساني.

لقد اعتمد هاريس في مشروعه اللساني الجديد الذي يرتكز معرفيًا ومنهجيًا على الدراسة اللسانية الوصفية ركيزتين اثنتين:

إحداهما: العلاقات التوزيعية بين الجمل، وهو بهذا يتجاوز التحليل التوزيعي الذي ينطلق من العلاقات بين العناصر اللغوية داخل الجملة الواحدة.

والأخرى: الربط بين الممارسة اللغوية والموقف الاجتماعي، حيث كانت هذه الخطوة الأولى لإدراج السياق في الوصف اللساني.

كان هاريس ينظر إلى النص بوصفه متوالية من جمل كثيرة لها نهاية دون أنْ يشير إلى التماسك بين هذه الجمل الذي يضفي عليها الخاصية النصية، ولذلك تمسك بالتحليل الخارجي (سطح النص)، فأغفل العناصر الجوهرية في تشكيل النص المتماسك.

يُلاحِظُ بيرفيش Bierwisch (١٩٦٥) في دراسته النقدية لعمل هاريس في تحليل الخطاب (١٩٥٢) أنَّ هاريس لَمَّا اعتمد مبدأ التحليل إلى أقسام متكافئة صَعُبَ عليه أنْ يميز النصوص الحقيقية من تتابع الجمل.[٢٩]

٢٩- زتسيسلاف وأورزنياك، مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ط١ ٢٠٠٣.

من هذا المنطلق الذي اعتمده هاريس انصرفت الدراسات اللسانية لاحقًا إلى ما بعد الجملة، والتولج في أعماق النص، ومقاربته في سياقه الموقفي، من حيث هو معطى اجتماعي، ومن ههنا بدأت المقاربة اللسانية النصية تتشكل منذ منتصف الستينيات، وسلكت سبيلها المعرفي والمنهجي، فعرفت بلسانيات النص Linguistique du texte أو اللسانيات النصية Linguistique textuelle أو نحو النص Grammaire du texte، فكان الإعلان صريحًا بتجاوز نحو الجملة Grammaire de la phrase والانتقال إلى فضاء أرحب هو فضاء المقاربة اللسانية النصية. Approche de la linguistique textuelle.

ومن هنا فإنَّ نظرة عجلى في المسار الذي سلكته الدراسة اللسانية النصية تهدي إلى أنَّ النصف الثاني من القرن العشرين شهد تحولاً عميقًا في تأسيس ثقافة النص من حيث التأطير المرجعي والمفهوم والإجراء، كان التحول بدءًا من تلك الأرضية المنهجية التي أرسى أسسها هاريس، وهي الأسس التي مهدت السبيل للانتقال بيسر من دراسة الكفاية النحوية إلى مقاربة الكفاية النصية الخطابية، وتعمقت هذه الأسس أكثر على يد فان دايك Van Dijk الذي يعد مؤسس المقاربة اللسانية النصية بدون منازع، ثم ارتقت هذه المقاربة أكثر، وتعززت على يد روبرت دي بوجراند Alain-Robert de Beaugrande [٣٠] (١٩٤٦ ٢٠٠٨) في الثمانينيات من القرن العشرين.[٣١]

إنْ لسانيات النص، وإن شكلت تحولا جديدًا في الدراسات اللسانية المعاصرة، فإنَّها لم تحدث القطيعة مع المعارف السابقة التي ظلت تعيد مفاهيمها

٣٠- Alain-Robert de Beaugrande (١٩٤٦ ــ ٢٠٠٨) أمريكي الأصل من مؤسسي مدرسة اللسانيات النصية في فيينا Vienne، نشر كتابه المعروف: مدخل إلى لسانيات النص بمشاركة Wolfgang U. Dressler.

31- Voir Dressler, W.U. & R. de Beaugrande 1981: Introduction to Text Linguistics. London, Longman 1981. Einführung in die Textlinguistik. Tübingen, Niemeyer.

وإجراءاتها. لذلك كان هارفج Harweg يعد «البلاغة والأسلوبية فرعين سابقين مبشرين بعلم لغة النص». (٣٢)

وكان فان دايك Van Dijk أومأ إلى هذه العلاقة السلالية بين لسانيات النص والمعارف السابقة التي تشاركها في التعامل مع النص بأي كيفية من الكيفيات، يقول في هذا الشأن: «يمكن أنْ تكون البلاغة السابقة التاريخية لعلم النص، إذا ما تأملنا التوجه العام للبلاغة القديمة إلى وصف النصوص ووظائفها المتميزة، إلا أنَّه لما كان اسم البلاغة يرتبط غالبًا بأشكال ونماذج أسلوبية معينة، وأشكال ونماذج أخرى، فإنَّنا نؤثر المفهوم الأكثر عمومية، علم النص». (٣٣)

تنظر لسانيات النص إلى النص من زاويتين مختلفتين:

زاوية خارجية: تنظر إلى النص على أنَّه وحدة كلية لحدث تلفظي.

زاوية داخلية: تنظر إلى النص بوصفه سلسلة من البنى التركيبية المتوالية. (٣٤)

من جهة أخرى تختلف لسانيات النص عن لسانيات الجملة في جعل النص الوحدة الأولية في التحليل وليست الجملة. ويقوم هذا التصور على مسوغين:

المسوغ الأول: أنَّ الإنسان بكل مكوناته وقدراته يتجلى في النص وليس في الجملة المعزولة.

المسوغ الثاني: هناك أحداث لغوية تتجاوز النمط المغلق للجملة، فهي لا تفسر بدقة إلا في إطار المقاربة النصية. (٣٥)

٣٢- زتسيسلاف وأورزنياك، مدخل إلى علم لغة النص، ص ٣٦.

٣٣- فان دايك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ٢٠٠١ ص ٢٣.

34- - Lita Lundquist,op.cit.p11.

35- - Lita Lundquist, op.cit. p11.

لقد بدأت لسانيات النص تتشكل في الخطاب اللساني الفرنسي بتأثير من المدرسة الألمانية على يد Harald Weinrich [٣٦]، وفي هذا الصدد، يشير جون ميشال آدم Jean-Michel Adam إلى أنَّ حضور Harald Weinrich في الجامعة الفرنسية كان له تأثير كبير في ظهور لسانيات النص في الثقافة اللسانية الفرنسية، وبعد تعيينه ليشغل الكرسي الأوروبي في Collège de France بباريس سنة ١٩٩٠ كانت أولى محاضراته حول لسانيات النص في فرنسا، حيث بدأ مصطلح لسانيات النص (أو نحو النص) يشيع بين الدارسين اللسانيين الفرنسيين. ثم إنَّ Weinrich كان له الفضل كذلك في شيوع [٣٧] مصطلح لسانيات النص Textlinguistik [٣٨] في ألمانيا ابتداء من سنة١٩٦٩، في دراسة نحوية أفردها للأدوات في اللغة الألمانية. [٣٩]

لقد تعمقت الدراسات اللسانية النصية في الثقافة الفرنسية على يد مجموعة من الباحثين اللسانيين منهم Denis Slakta [٤٠] الذي انطلق في أعماله اللسانية نحو النص من مقولة هاليداي: «الوحدة القاعدية (الأساس) ليست الكلمة ولا الجملة ، بل هي النص» [٤١] وبناء على هذا التصور لوحدة النسق اللساني فإنَّ النص في نظر سلاكتا يبدأ من الركن التركيبي (Syntagme). [٤٢] ويرى سلاكتا

٣٦- استتخدم Harald Weinrich ١٩٢٧..مصطلح لسانيات النص Textlinguistik سنة ١٩٦٩، في عنوان دراسة نحوية أفردها للأدوات في اللغة الألمانية Voir، Jean-Michel Adam، L'émergence de la linguistique textuelle en France.Revue de l'Université de Lausanne (Suisse)، Vol. 23، nº .2، Julho / 2010 p13

37- Voir, Jean-Michel Adam, L'émergence de la linguistique textuelle en France.Revue de l'Université de Lausanne (Suisse), Vol. 23, nº 2, Julho/2010, p14.

38- Harald Weinrich 1969: «Textlinguistik: Zur Syntax des Artikels in der Deutschen Sprache», Jahrbuch für Internationale Germanistik 1, Berne/Frankfort, 61-74.

39- Voir, Jean-Michel Adam,op.cit.p13.

٤٠- Denis Slakta (١٩٣٧ ٢٠٠٤) باحث لساني فرنسي.

41- Michael Alexander Kirkwood Halliday 1970: «Language structure and language function», in New Horizons in linguistics, John Lyons éd., Pelican p160

42- Denis Slakta (1980)a: Sémiologie et grammaire de texte. Pour une théorie des pratiques discursives, 2 tomes, Paris X-Nanterre, p4 .

في هذا السياق أنَّ نحو النص يسعى إلى تفسير المبادئ التنظيمية، وأنماط القواعد الشكلية في نسق العلامات.[٤٣]

لما تأمل سلاكتا مفهوم الجملة[٤٤] عند بلومفيلد تبين له أنَّ هذا المفهوم محدود بحدود الجملة المغلقة المعزولة عن سياقها اللغوي الطبيعي، وكان بلومفيلد ينظر إلى الجملة على أنَّها: «شكل لغوي مستقل لا يحتويه شكل لغوي أكبر بموجب علاقة قواعدية معينة».[٤٥] إلا أنَّ سلاكتا عدل هذا المفهوم، فالجملة في نظره: «شكل لغوي قابل أنْ يدرج ضمن شكل لغوي أكبر بوسائل قواعدية (نحوية)، وهذا الشكل اللغوي الأكبر هو النص».[٤٦]

يرى جون ميشال آدم أنَّ لسانيات النص لم تستطع أنْ تتحرر من سلطة المعارف السابقة التي تعاملت مع النص بكيفية من الكيفيات (البلاغة والفيلولوجيا والأسلوبية)، إنَّ حضور هذه المعارف في الإجراء اللساني النصي لهو دليل على أنَّ لسانيات النص لم تحدث القطيعة مع الماضي.[٤٧]

لا تعدو لسانيات النص في نظر جون ميشال آدم أنْ تكون استمرارية معدلة للمعرفة اللسانية السابقة، فهي مشدودة إلى الإرث النصي السابق شدًّا قويًّا، ولذلك لم تأخذ مكانتها المعرفية والمنهجية التي تستحقها، فهي تابعة ضمنيًا إلى

43- Denis Slakta (1977): «Introduction à la grammaire de texte», Actes de la session de linguistique de Bourg-Saint-Maurice, publications du conseil scientifique de la Sorbonne Nouvelle-Paris III, 4-8 septembre 1977: p-63.

44- la célèbre assertion de Léonard Bloomfield, dans Language:
Chaque phrase est une forme linguistique indépendante qui n'est pas incluse dans une forme linguistique plus vaste en vertu d'une construction grammaticale quelconque. (1933: 170)

45- Bloomfield, Language 1933.p170

46- Denis Slakta 1977: «Introduction à la grammaire de texte», Actes de la session de linguistique de Bourg-Saint-Maurice, publications du conseil scientifique de la Sorbonne Nouvelle-Paris III, 4-8 septembre 1977: p-63.

47- Voir Jean-Michel Adam,op.cit.p15.

الإجراء البلاغي والفيلولوجي والأسلوبي، وإنْ كانت قد حاولت أنْ تعيد صياغة هذه المعارف صياغة جديدة تضفي عليها التميز من الناحية الإجرائية.[٤٨]

تناول جون ميشال آدم هذه القضايا في بحث معمق له موسوم بـ: ظهور اللسانيات النصية في فرنسا بين المنظور الوظيفي للجملة ولسانيات النص[٤٩] ركز فيه على تأثير مدرسة براغ ونحوها الوظيفي في ظهور لسانيات النص في الثقافة الفرنسية في السبعينيات من القرن العشرين.

ومن ثمة فإنَّ لسانيات النص كما يرى جون ميشال آدم فرع لساني حديث بالقياس إلى تحليل الخطاب، وهو يؤكد أنَّ هذا المصطلح عرف في أوروبا منذ الخمسينيات من القرن العشرين في مقال للفيلولوجي الروماني الإسباني Eugenio Coseriu ١٩٥٥. وبعد هذا المقال بدأ المصطلح يشيع بين الدارسين اللسانيين في أوروبا، وبعد عشر سنوات تحدد المصطلح بمنطوقه (لسانيات النص Textlinguistik) كان ذلك في ألمانيا على يد Harald Weinrich في عنوان دراسة خاصة بالأدوات في اللغة الألمانية.[٥٠]

إذا نظرنا إلى العمر العلمي للثقافة اللسانية في الفكر الإنساني المعاصر فسنلفي لسانيات النص فرعًا لسانيًا ناشئًا؛ ففي المؤتمر الدولي للسانيات الفرنسية الذي عقد في باريس سنة ٢٠٠٨ أدرجت لسانيات النص ضمن موضوعات المؤتمر للمرة الأولى في تاريخ اللسانيات في الثقافة الفرنسية.[٥١]

48- Voir Jean-Michel Adam,op.cit.p15..

49- Jean-Michel Adam, L'émergence de la linguistique textuelle en France.Revue de l'Université de Lausanne (Suisse), Vol. 23, nº 2, Julho/2010, p14.

50- Ibid. p13.

51- Ibid, p13.

ثالثا: النص: الحد والإجراء.

ما يمكن لنا الإشارة إليه منذ البدء هو أنَّ المعنى لا يتحدد في التمثل الذهني المجرد، وفي الوصف المادي الصوري، بل يتحقق ذلك في إطار النص الذي هو النطاق الشامل الذي تتكاثر فيه المعاني وتتولد وتسلك سبلاً أخرى ما كان لها أنْ تتوارد فيها لولا شرعية النصية، ومن ثمة فإنَّ التأويل، من حيث هو تفاعل القارئ مع المقروء، لا ينبغي له أنْ يقتصر على إيجاد التفسير الكافي للعلاقة بين العلامة ومرجعها الغائب الذي تنوب عنه، بل يجب أنْ يتجاوز ذلك ليضطلع بتفسير العلاقة بين العلامة والنص الذي وردت فيه، والمسوغ الذي يمكن أنْ يسترفد ههنا هو أنَّ الإجراء التفسيري داخل النسق اللغوي، يقابله الإجراء التأويلي في النص / الخطاب.[٥٢]

وإذا كانت الجملة تشارك النص في تحقيق المعنى (الفائدة)، فهي من وجهة نظر وظيفية، وحدة تركيبية مستقلة عن السياق فهي، إذ ذاك، الإطار الوظيفي الذي تتحقق فيه العملية الإسنادية لإنتاج المعنى. فالجملة في نظر جورج مونان Georges Mounin هي «ملفوظ تام باعتبار المعنى»[٥٣] وليس باعتبار النصية. «إذا كان النص يتكون من جمل، فإنَّه يختلف عنها نوعيًا. إنَّ النص وحدة دلالية، وليست الجمل إلاَّ الوسيلة التي يتحقق بها النص (...) كل نص يتوافر على خاصية كونه نصًا يمكن أنْ يطلق عليها (النصية) وهذا ما يميزه عما ليس نصًا».[٥٤]

٥٢- ينظر أحمد حساني السياق والتأويل من الإشكالية الفيلولوجية إلى الإشكالية اللسانية مجلة الموقف الأدبي - مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق - العدد ٣٩٥ آذار ٢٠٠٤. ص٦٧.

53- Voir Rastier François: Le probléme épistémologique du contexte et le statut de l'interprétation dans les sciences du langage. Revue: Langages no 129 mars 1998 Paris, p 104.

٥٤- محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩١. ص ١٣.

ومن ههنا فإنَّ النص ليس وحدة نحوية (بنية تركيبية) تخضع للمعايير النحوية مثل الجملة، كما أنَّه ليس بنية تركيبية موسعة، بل هو «وحدة من نوع مختلف، وحدة دلالية، الوحدة التي لها معنى في سياق، وهذه الوحدة الدلالية تتحقق أو تتجسد في شكل جمل، وهذا يفسر علاقة النص بالجملة، إذ الأخيرة مجسدة للوحدة الدلالية التي يشكلها النص في موقف اتصالي معين.»(٥٥)

يقدم شميث تصورًا أكثر شمولية لحد النص، فالنص (Texte / Text) كل قسم لغوي يتجلى داخل فعل تواصلي (أو داخل لعبة أفعال تواصلية) يجمعه موضوع واحد، ويقوم بوظيفة تواصلية قابلة للمعرفة ؛ أي أنَّه يحقق طاقة إنجازية قابلة للمعرفة (من طرف شركاء التواصل، إذ بفضل الوظيفة الإنجازية (الاجتماعية التواصلية) وحدها، تغدو مجموعة من الرسائل اللغوية المحكمة القواعد نسقًا نصيًا متماسكًا يعمل بنجاح أثناء التواصل الاجتماعي.(٥٦)

يستشف من هذا التعريف الضوابط الحدية الآتية:

- أي قسم لغوي يحقق التواصل فهو نص.
- يحقق النص طاقة إنجازية قابلة للمعرفة.
- تتحقق هذه الطاقة الإنجازية في إطار التواصل الاجتماعي.
- يتكون النسق النصي المتماسك من رسائل لغوية محكمة القواعد (البناء).

يلاحظ أنَّ شميث Schmidt يعول في حده النص على البعد التواصلي أو التداولي، وقد أكد ذلك في مقام آخر بقوله: «النص هو جزء حُدِّدَ موضوعيًا (محوريًا) من خلال حدث اتصال ذي وظيفة اتصالية (إنجازية)».(٥٧)

٥٥- جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية ولسانيات النص ص٦٨.
٥٦- نزار التجديتي إنتاج النص في نظرية زيغفريد شميت مجلة علامات ج٤١م١١سبتمبر ٢٠٠١ص ٣٧٦.
٥٧- سعد حسن بحيري، علم لغة النص ص٩٩.

ويسلك هذا السبيل نفسه كلاوس برينكر الذي ينطلق في تعامله مع النص من حيث كونه ممارسة لسانية من أجل تحقيق التواصل في التلقي الشفوي(السامع)، أو التلقي الكتابي (القارئ)، فالنص في نظره هو: «فعل لغوي معقد يحاول المتكلم أو الكاتب أنْ ينشئ به للنص علاقة تواصلية معينة مع السامع أو القارئ».[٥٨]

ينظر بعضهم إلى النص بوصفه متوالية من العناصر يرتبط بعضها ببعض من أجل تشكيل الكلية النصية، فالنص في نظر هارفج Harweg هو: «تتابع مشكل من خلال تسلسل ضميري متصل لوحدات لغوية».[٥٩] فالخطية في تسلسل العناصر اللغوية المشكلة لبنية النص هي التي تضفي عليه نصيته بطريقة اقتضائية استلزامية، وذلك ما أومأ إليه فاينريتش Weinrich في سياق عرضه حدود النص. فالنص «تكوين حتمي يحدد بعضه بعضًا ؛إذ تستلزم عناصره بعضها بعضًا لفهم الكل».[٦٠]

أمَّا فان دايك Van Dijk فيتعامل مع النص في ضوء ثنائية البنية السطحية والبنية العميقة، مستثمرًا مصطلحات النظرية التوليدية والتحويلية ومفاهيمها، فالنص عنده «بنية سطحية توجهها وتحفزها بنية عميقة دلالية».[٦١] بهذا التعريف يكون فان دايك Van Dijk أدخل المكون الدلالي التوليدي الذي يعد أساس البنية السطحية.

هناك نظرة أخرى إلى النص نلفيها عند دي بوجراند الذي يرى أنَّ النص لا يعدو أنْ يكون تشكيلة لغوية ذات معنى تستهدف الاتصال، ويضاف إلى ذلك ضرورة صدوره (النص) عن مشارك واحد ضمن حدود زمنية معينة،

٥٨- كلاوس برينكر التحليل اللغوي للنصوص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ترجمة سعيد حسن بحيري مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ط١، ٢٠٠٥ ص٢٥.

٥٩- زتسيسلاف وأرزنياك مرجع سابق، ص ٥٥.

٦٠- حسن بحيري علم لغة النص ص٩٩.

61- Dijk T.A van Some Aspects of text Grammar He Hague mouton, 1972. p123.

وليس من الضروري أنْ يتألف النص من الجمل وحدها، فقد يتكون من جمل أو كلمات مفردة، أو أية مجموعات لغوية تحقق أهداف الاتصال. ومن جهة أخرى فقد يكون بين بعض النصوص من الصلة المتبادلة ما يؤهلها لأنْ تكون خطابًا DISCOURSE / Discours.[٦٢]

عندما نتأمل مليا هذا التصور لحد النص نلفيه يتضمن التعريفات الفرعية الآتية:

- النص تشكيلة لغوية لها دلالة.
- النص وسيلة للتواصل.
- للنص مشارك واحد على الأقل في حدود الزمان والمكان.
- يمكن للنص أنْ يتألف من جمل أو كلمات مفردة تحقق الاتصال.
- العلاقات بين النصوص يمكن أنْ تشكل خطابًا.

أضحت النصية المعيار المعول عليه لميز النص من غيره من التراكيب اللغوية التي تشاركه في حصول الدلالة، لذلك انبرى بعضهم يحدد المبادئ العامة التي يجب أنْ تتوافر في أي ممارسة لغوية لكي ترقى إلى مستوى النص. أهمها:

١- الاتساق (cohésion): الترابط الرصفي القائم على النحو في البنية السطحية، بمعنى التشكيل التركيبي للجمل.

٢- الانسجام (cohérence): هندسة عالم النص؛ أي الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار داخل النص(الربط المنطقي للأفكار التي تعمل على تنظيم الأحداث والأعمال داخل بنية النص).

٦٢- ينظر رمبرت ديبوغراند و لفغانغ دريسلر مدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة و علي خليل حمد أعده للطبع : مركز نابلس للكمبيوتر الطبعة الأول ١٩٩٣.

٣- القصد (Intentionality / Intentionnalité): هو التعبير عن هدف النص الذي يغدو وسيلة متاحة في لحظة معينة بغية الوصول إلى هدف محدد.

٤- المقامية (Situationality / Situationnalité): متعلقة بالسياق الثقافي والاجتماعي للنص.

٥- التناص (Intertextuality / Intertextualité): هو أهم عنصر من العناصر التي تحقق النصية، وهو أنْ تشكل النصوص السابقة خبرة النصوص اللاحقة.

٦- الإخبارية (Informativity / informativité): القدرات الإخبارية (المضامين الإعلامية).

٧- المقبولية أو الاستحسان (Acceptability / Acceptabilité): تتبدى في علاقة النص بالملتقى، من خلال إظهار موقف المستقبل للنص إزاء كونه صورة من صور اللغة المفهومة والمقبولة.[٦٣]

يمكن لهذه المبادئ أن تنتظم في ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: ما يتصل بالنص: معيار (الاتساق + الانسجام).

المجموعة الثانية: ما يتصل بمستعمل النص: (المنتج + المتلقي) معيار القصد والقبول.

المجموعة الثالثة: ما يتعلق بالسياق الخارجي: (الموقف+التناص + الإعلامية).

٦٣- روبرت ديبوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨، ص١٠٣.

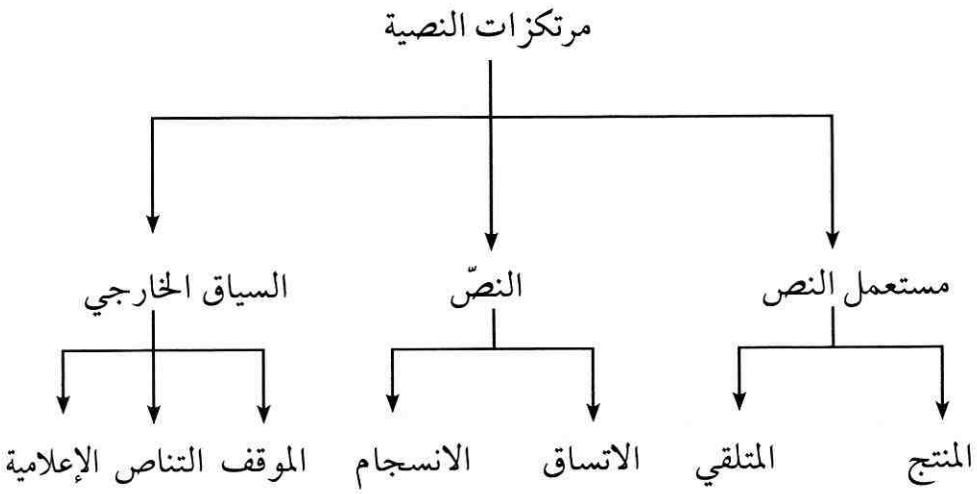

وتأسيسًا على هذه المعطيات كلها، فإنَّ النص إنجاز لغوي دال، فهو ناتج عن الكفاية النصية، ولا يخضع لعامل الكمية في الأداء، ويشمل جميع الأنواع الافتراضية في التواصل، ولذلك فهو في نظر هاليداي ورقية حسن: «يمكن أنْ يكون منطوقًا أو مكتوبًا نثرًا أو شعرًا، حوارًا أو مونولوجًا، يمكن أنْ يكون أي شيء من مَثَل واحد حتى مسرحية بأكملها، من نداء استغاثة حتى مجموع المناقشة الحاصلة طوال يوم في لقاء هيئة». (٦٤)

ويرى هاليداي ورقية حسن أنَّه من حيث المبدأ فإنَّ أي متتالية من الجمل يمكن لها أنْ تكون نصًّا «شريطة أنْ تكون بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصح بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات، تتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر وبين متتالية برمتها سابقة أو لاحقة، يسمي الباحثان تعلق عنصر بما سبقه علاقة قبلية، وتعلقه بما يلحقه علاقة بعدية». (٦٥)

64- M.A.K. Halliday and Ruqaiya Hasan 1976, Cohesion in English, Longman, London. P1. أورده محمد خطابي ص١٣

٦٥- محمد خطابي مرجع سابق، ص ١٣.

نخلص بعد هذا العرض إلى أنَّ هناك ثلاثة اتجاهات في التعامل مع النص:

الاتجاه الأول: (النص علامة)[٦٦]

ينظر هذا الاتجاه إلى النص بوصفه علامة كلية، أو علامة كبرى Macro-signe، وهو إذ ذاك يشبه العلامة اللسانية في سيرورتها الدلالية، وفي مكوناتها الإحالية، باعتماد التمثيل الثلاثي للعلامة الدال المدلول المرجع .

يتجاوز هذا الاتجاه التصور الثنائي للعلامة الذي تمسك به دي سوسير (العلامة كيان ثنائي يشكل علاقة بين الدال والمدلول داخل النطاق النفسي)، بهذا التصور للعلامة يقصي دي سوسير الواقع الخارجي (المرجع) الذي تحيل إليه العلامة، ولذلك انصرف القائلون بـ: (النص العلامة) إلى التعديل الذي أجراه أوجدن وريتشاردز بإدخالهما المرجع في مكونات العلامة فاغتدت العلامة، حينئذ، ثلاثية المبنى (الدال المدلول المرجع).[٦٧]

أضحى النص في ظل هذا الاتجاه علامة كبرى تتكون من:

الدال: الشكل اللغوي الذي يكون البنية السطحية للنص. (عناصر الاتساق).

المدلول: المكون الدلالي الذي يشكل البنية العميقة للنص.(عناصر الانسجام).

المرجع: العالم الخارجي الذي يحيل إليه النص. (الإحالة الخارجية أو الإحالة المقامية).

66- Voir, Litat Lundquist, op.cit. p18.

٦٧- ينظر أحمد حساني مباحث في اللسانيات، ٢٠١٣. ص ٣٩.

الاتجاه الثاني: (النص إنجاز فعلي للغة).[٦٨]

يتعامل هذا الاتجاه مع النص بوصفه إنجازًا واقعيًا للحدث اللغوي، فالنص من ههنا مظهر كلامي، أو ممارسة لغوية؛ لأنَّها أثر في الواقع الفعلي للتجربة الإنسانية.

يتبنى هذا الاتجاه التمييز الذي اعتمده دي سوسير بين اللسان والكلام. فإذا كان اللسان نسقًا من القواعد يوجد بصفة مضمرة في أذهان المتكلمين - المستمعين، فإنَّ هذا النسق لا يتجسد في الواقع إلا عن طريق الإنجاز الفعلي للكلام؛ أي إخراج اللسان من الموجود بالقوة إلى الموجود بالفعل.

أمسى النص، حينئذ، إنجازًا فعليًا للكلام من حيث كونه منتوجًا حقيقيًا للعملية التلفظية من أجل التواصل بين أفراد المجتمع اللغوي. بهذا التصور للنص يكون هذا الاتجاه وسع المجال الإدراكي والإجرائي للنص بإدماج اللسانيات التداولية في مشروع لسانيات النص. ويعود حضور اللسانيات التداولية في المقاربة اللسانية النصية إلى مرجعيات مختلفة، منها ذلك الإرث التداولي الذي يتبدى في المبادئ السيميائية التي رسخها بيرس وموريس، ونظرية الأفعال الكلامية لأستن وسيرل، والدراسات التي تناولت علاقة السياق (الموقف) بالعملية التواصلية.[٦٩]

الاتجاه الثالث: (النص متوالية من الجمل)[٧٠]

يرى هذا الاتجاه أنَّ النص وحدة النسق اللساني يتضمن وحدات صغرى هي الجمل التي تتضمن بدورها وحدات أصغر هي الأركان التركيبية Syntagmes والكلمات والمورفيمات، فالنص من ههنا لايعدو أنْ يكون متوالية منسجمة

68- Voir, Litat Lundquist,op.cit.p 19.

٦٩- زتسيسلاف وأورزنياك. مرجع سابق، ص ٨٩.

70- Voir, Litat Lundquist,op.cit.p20.

ومتماسكة من الجمل.

وبهذا التصور للنص تتجلى الكفاية النصية Compétence textuelle التي تنتمي إلى الكفاية اللسانية Compétence linguistique لأنَّ القدرة على إنتاج النصوص تتضمن القدرة على إنتاج الجمل، فالكفاية التي تسمح للإنسان بإنتاج عدد لا حصر له من النصوص، هي الكفاية نفسها التي تسمح له بالحكم على نصية النص التي تتحقق من خلال متوالية منسجمة من الجمل. ولذلك فإنَّ مفهوم النصية في النصوص يقابل مفهوم النحوية في الجمل.(٧١)

تُعَدُّ الكفاية اللسانية التي تسمح للمتكلمين بإنتاج الجمل، سواء أكانت متماسكة أم غير متماسكة، مسوغًا لإمكانية وجود الكفاية النصية، وهي تلك القدرة الضمنية التي تسمح للمتكلمين(الكتاب) والمستمعين(القراء) بإنتاج نصوص متماسكة تركيبيًا ودلاليًا، وتفسيرها بإضفاء النصية عليها.(٧٢)

وكان بيتر هارتمان قد أومأ إلى الكفاية النصية الضمنية المتوارية خلف الكلام يقول في هذا الشأن: «إننا حين نتكلم بوجه عام فإنَّنا لا نتكلم إلا من خلال النصوص (...) فوسيلة الاتصال بين البشر ليست سوى اللغة ذات القدرة النصية، وذات القيمة النصية».(٧٣)

يرى جون ميشال آدم في هذا السياق أنَّ انتشار النصوص في المجتمع اللغوي (الكتاب والقراء) يستدعي تشكل الكفاية النصية لدى أطراف التواصل المتكلمين / المستمعين و الكتاب / القراء، وهي الكفاية التي تسمح لهم بإنتاج النصوص وتفسيرها انطلاقًا من الخبرة النصية التي هي مهارة امتلاك الأدوات

71- Dominique MAINGUENEAU «À propos de la grammaire de texte». In: Initiation aux méthodes de l'analyse du discours. Hachette: Paris, 1976. p151.

72- Dominique MAINGUENEAU, Linguistique pour le texte littéraire, Nathan, Paris 2003 (4em Edition) p175.

٧٣- فولفجانج مدخل إلى علم لغة النص ص ٢٠.

والمعايير التي تجعل من ملفوظ ما نصًّا.[٧٤]

وكان دي بوجراند أومأ سابقًا إلى أنَّ مفهوم الكفاية يجب «أنْ يحظى بنظرة أكثر اتسامًا بالتكاملية ممَّا يجري في العادة في قواعد الجملة، فعلينا أنْ نبحث في تحديد القدرات التي تجعل الناس في العادة من أصحاب القدرة على إنتاج النصوص وفهمها بنجاح دائم».[٧٥]

الغالب في التعريفات والحدود التي أوردناها أنَّها:

- تُبْرِزُ الجوانب المتباينة في الظاهرة الشاملة نفسها؛ أي النص.
- تُبَيِّنُ أنَّ الأسس التي تعتمد في التعريف، إمَّا أنْ تكون لها علاقة بالجانب التركيبي للنص، أو تكون لها علاقة بالجانبين الدلالي والتداولي.
- تُظهر أنَّ نحو النص، ودلالة النص، وتداولية النص، يمكن أنْ تكون فروعًا افتراضية إجرائية للسانيات النص.[٧٦]

رابعًا: النص بين الاتساق والانسجام

تتبدى النصية في أصفى صورة لها في التماسك النصي الذي يُشَكِّلُ الاتساق (Cohésion) والانسجام (Cohérence) مرتكزَه الأساس، وبذلك يكتسب النص نصيته، وتتماسك مكوناته التركيبية والدلالية لتشكل وحدة دلالية كبرى، تستمد هذه الوحدة وجودها من أدوات تركيبية ومعجمية ودلالية شتى تسهم في استمرارية النص وتعزز خطيته.

74- ADAM J-M,,Eléments de linguistique textuelle Théorie et pratique de l'analyse textuelle, Pierre Mardaga, Bruxelles, Liège. 1990.

٧٥- دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص١٠٢.

٧٦- ينظر زتسيسلاف وأورزنياك. مرجع سابق، ص٦٠.

أولاً– الاتساق Cohésion

يعد الاتساق Cohésion [٧٧] (يسميه بعضهم السبك، التضام، الترابط) من مرتكزات النصية التي تحدد التماسك بين العناصر الشكلية الفاعلة لاكتساب النص خاصيته النصية التي ينماز بها عما سواه من الملفوظات، وهو إذ ذاك يستمد مكوناته التركيبية من مكونات الجملة لكي يتعداها، لتشكيل ما هو أوسع أو أكبر وأعمق، ويستمد من المعجم الدلالات المجردة لإعادة صقلها في نسق متكامل قائم على الاستمرارية والسيرورة التركيبية والدلالية التي تعزز تماسك النص؛ لأنَّ النص من حيث المبدأ هو «تكوين بسيط من الجمل تنشأ بينها علاقات تماسك». [٧٨]

يقصد عادة بالاتساق في الثقافة اللسانية النصية «ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص / خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته» [٧٩].

يتبدى الاتساق جليًا «في تلك المواضيع التي يتعلق فيها تأويل عنصر من العناصر بتأويل العنصر الآخر يفترض كل منهما الآخر مسبقًا، إذ لا يمكن أنْ يحل الثاني إلا بالرجوع إلى الأول عندما يحدث هذا تتأسس علاقة اتساق». [٨٠]

٧٧- أهم دراسة في الاتساق التي يشار إليها عادة في الدراسات اللسانية النصية هي تلك الدراسة المتميزة التي وردت في «كتاب م.أ.ي هاليداي ورقية حسن المعنون بـ: Cohesion in English الاتساق في اللغة الإنجليزية، الصادر بلندن ١٩٧٦و، وهو كتاب يتألف من مدخل وسبعة فصول ؛ خصص المدخل لتحديد بعض المفاهيم مثل: النص، النصية، الاتساق، ، ، وخصص ستة فصول لبحث مظاهر الاتساق الآتية: الإحالة الاستبدال، الحذف، الوصل، الاتساق المعجمي، ومعنى الاتساق. أمَّا الفصل السابع فقد حُللت فيه نصوص متنوعة تطبيقًا لما صيغ في الفصول السابقة. ينظر محمد خطابي لسانيات النص ص ١٢.

٧٨- فولفجانج هاينة مان و ديتر فيهفجر، مدخل إلى علم النص، ترجمة سعيد حسن بحيري ص٢١.

٧٩- محمد خطابي مرجع سابق، ص ٥.

80- M.A.K. Halliday and Ruqaiya Hasan 1976, Cohesion in English, Longman, London p p4 15 أورده محمد خطابي، لسانيات النص، ص

لقد أصبح مألوفًا في الثقافة اللسانية النصية أنَّ الاتساق ضربان: اتساق نحوي Grammatical Cohesion واتساق معجمي Lexical cohesion

أ- الاتساق النحوي Grammatical Cohesion / Cohésion grammaticale

يتشكل الاتساق النصي النحوي من العناصر الآتية:

- الإحالة Référence.
- الاستبدال: Substitution.
- الحذف Elimination.
- الوصل: Conjonction.

نورد ههنا مجددًا هذه العناصر الاتساقية لتوضيحها أكثر:

١ – الإحالة Référence:

إنَّ أقل الناس دراية بالدراسات الدلالية يدرك لا محالة أنَّ للإحالة في الدراسات اللغوية التقليدية (قبل لسانيات النص) دلالة خاصة، هي تلك العلاقة بين العلامة ومرجعها الذي تحيل إليه في الواقع وتنوب عنه، وذلك ما أشار إليه جون ليونز في سياق حديثه عن الدلالة والمرجع إذ يقول: «إنَّ العلاقة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة، فالأسماء تحيل إلى المسميات».[٨١]

أمَّا الإحالة في الدراسات اللسانية النصية فلها دلالة اصطلاحية مغايرة، هي إحالة عنصر لساني في النسق النصي إلى عنصر لساني آخر سابق أو لاحق، وبذلك يتماسك النص، ويحافظ على استمرارية مكوناته وخطيته.

٨١- ج.ب. براون وج. يول، تحليل الخطاب ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي ، جامعة الملك سعود، السعودية، ١٩٩٧. ص٣٦.

تتشكل مكونات الإحالة من عناصر لسانية تتواتر في البنية السطحية للنص، وأنَّ هذه العناصر ليست لها دلالة في ذاتها، بل هي مرتبطة بعناصر أخرى تسبقها أو تلحقها، فشرط وجودها هو النص الذي يعزز هذا الترابط، وهي إذ ذاك قائمة على مبدأ التماثل.[٨٢]

ومن ههنا فإنَّ «العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي حسب الباحثَين[٨٣]: الضمائر، أسماء الإشارة، وأدوات المقارنة».[٨٤]

أركان الإحالة:

١- المتكلم أو الكاتب: يعد منجز النص ركنًا أساسًا في الإحالة؛ لأنَّ الإحالة عمل إنساني نابع عن إرادة وقصد.

٢- اللفظ المحيل: هو العنصر اللساني الظاهر، أو المقدر (الضمير والإشارة)، وهو العلامة المرشدة التي تسمح للمتلقي بالحركة داخل النص وخارجه.

٣- المحال إليه: قد يكون المحال إليه موجودًا داخل النص (الإحالة النصية)، أو خارج النص (الإحالة المقامية)، يساعد المحال إليه المتلقي على فهم النص وتفسيره وتأويله.

٤- العلاقة بين المحيل والمحال إليه: هي تلك العلاقة التي تجعل المتلقي ينصرف إلى محال إليه بعينه ودون سواه، هي نوع من التطابق، أو التجانس بين

٨٢- ينظر الزناد الأزهر، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء -بيروت، (دت) ص ١١٨.

٨٣- هاليداي ورقية حسن.

٨٤- محمد خطابي، لسانيات النص ص ١٧.

العناصر التركيبية والدلالية المترابطة عن طريق الإحالة.[٨٥]

تنقسم الإحالة إلى نوعين:

إحالة مقامية (خارجية): هي إحالة تتم خارج النص.

إحالة نصية (داخلية): هي إحالة تتم داخل النص. وتنقسم إلى قسمين:

إحالة قبلية: يحيل العنصر المتأخر إلى آخر متقدم.

إحالة بعدية: يحيل العنصر المتقدم إلى آخر متأخر.

تنقسم عناصر الإحالة النصية إلى:

- شخصية Personal (ضمائر المتكلم، المخاطب، الغائب).
- إشارية Demonstrative (أسماء الإشارة).
- مقارنة Comparative (أسماء التفضيل...).
- الموصولات Relative (الموصولات)
- التحديد (التعريف)

الإحالة المقامية (الخارجية): هي إحالة تتم خارج النص تربط النص بفضائه الخارجي لتعزيز وجوده وتعمل على استمراريته، بتوكيد العلاقة بين الداخل والخارج لضمان كينونة النص وسيرورته، إذ إنَّ النص موجود سياقي أو مقامي. وهي إذ ذاك كما يرى هاليداي ورقية حسن «تسهم في خلق النص لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلا أنَّها لا تسهم في اتساقه بشكل مباشر».[٨٦]

٨٥- ينظر أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، نسخة إلكترونية PDF. ص١٦.
٨٦- محمد خطابي، مرجع سابق، ص١٧.

٢- الاستبدال: Substitution

يعد الاستبدال عنصرًا من عناصر اتساق النص، فهو علاقة تتم داخل النص كالإحالة تمامًا، إلا أنَّه يختلف عنها في كونه يَعْقِدُ علاقة منسجمة على المستوى النحوي المعجمي تسهم في تماسك النص فهو، حينئذ، «عملية تتم داخل النص، إنَّه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر».[٨٧]

مثال قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[٨٨].

استبدلت كلمة (أخرى) بكلمة (فئة)؛ أي أنَّ (أخرى) حلت محل (فئة) في النسق النصي للآية. فالاستبدال من ههنا يشبه الإحالة كأنَّ (أخرى) أحالت إلى (فئة).

أنواع الاستبدال:

١- استبدال اسمي: تستبدل عناصر الاستبدال (آخر، أخرى، واحد، واحدة) باسم سابق عنها، فتحل محله.

٢- استبدال فعلي: يحل فعل محل فعل آخر مقدم في التركيب (عمل وفعل). (من أراد أن يبادر إلى نشر المعرفة، فليفعل). حلت (يفعل) محل (يبادر). يفعل = يبادر.

٣- استبدال العبارة أو القول: إحلال عنصر لغوي محل عبارة أو قول (ذلك...). (من أراد أنْ يسهم في البناء الحضاري للإنسان فليبادر إلى

87- M.A.K. Halliday and Ruqaiya Hasan 1976, Cohesion in English, Longman, London p88. أورده محمد خطابي، لسانيات النص، ص ١٩.

٨٨- آل عمران: ١٣.

ذلك. حلت (ذلك) محل العبارة (أراد أنْ يسهم في البناء الحضاري للإنسان).

٣- الحذف: Elimination

لا يختلف الحذف عن الاستبدال من حيث كونه عنصرًا يحل محل عنصر آخر مفترض، لكن الحذف (المحذوف) لا يترك أثرًا كالأثر الذي يتركه المستبدل، فالحذف استبدال عن الصفر، فهو كما يرى هاليداي ورقية حسن «علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أنَّ الحذف عادة علاقة قبلية».[٨٩]

٤- الوصل: Conjonction

هو ذلك الترابط القائم بين المفردات والجمل الذي يعزز استمرارية التماسك النصي ويقويه. «لأنَّ النص عبارة عن جمل، أو متتاليات متعاقبة خطيًا، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص».[٩٠]

تسهم الروابط، بوصفها عناصر لسانية وظيفية، في ربط التواصل واستمراريته، وتمكننا من التلفظ بعدد غير محدود من الجمل والنصوص، وبها يكتسب النص ديمومته، وهي شائعة ومعروفة في جميع الألسنة، كالعطف بجميع أنواعه في اللسان العربي. (الواو، الفاء، ثم، أو. وغيرها).

٨٩- M.A.K. Halliday and Ruqaiya Hasan ،١٩٧٦ Cohesion in English، Longman، London p١٤٤ أورده محمد خطابي، لسانيات النص، ص٢١..

٩٠- محمد خطابي، مرجع سابق، ص ٢٣.

ب- الاتساق المعجمي: Lexical cohesion / Cohésion lexicale

١- التكرار: Réitération

يقصد بالتكرار إعادة عنصر لساني دال (مفردة) في موقع لاحق في النص لتعزيز الدلالة المقصودة، وتأكيدها. ويكون التكرار إمَّا بإعادة اللفظ نفسه بمنطوقه أو إعادته بمفهومه ؛ أي إعادة معناه بالاستناد إلى العلاقات بين المفردات في الحقول الدلالية، كعلاقة الترادف، أو التضاد، أو علاقة الكل بالجزء، إلى غير ذلك من العلاقات الدلالية التي تكون المتن المعجمي للسان ما.

يمثل التكرار، حينئذ، «تعددًا في البنية التركيبية، لكنَّه لا يغير شيئًا من البنية الإحالية في النص؛ لأنَّه بنية عابرة للتركيب Trans - Syntaxique، تقوم في الأساس على المدلول، فهي توافق البنية التركيبية في الغالب، ويمكن أنْ تخرج عنها عند توفر شروط الترديد القائم على الترادف».[٩١] يقول دي بوجراند «يمكن لإعادة اللفظ أنْ تستعمل مع انتقال الوظيفة النحوية لعبارة ما، ويكيف العنصر المكرَّر بكيفية نسبته السياقية، لكن اتحاد الإحالة يظل واضحًا».[٩٢]

٢- المصاحبة اللغوية: Collocation

يقصد بالمصاحبة ورود ثنائيات من المفردات بينها علاقات ما؛ أي تلك العلاقات الدلالية القائمة بين المفردات لتأكيد استمرارية التماسك النصي وتيسير تفسيره وتأويله، مثل علاقة التضاد أو التعارض، كالعلاقة بين الليل والنهار والولد والبنت. وكعلاقة الكل بالجزء (البيت، السقف، الحائط)، وتندرج علاقة المصاحبة في كل علاقات الحقول الدلالية المعروفة.

٩١- الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا. ص ١٣٧.
٩٢- دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص ٣٠٥، ٣٠٦.

ثانيا: الانسجام: Cohérence

إذا ما دققنا النظر في البناء التماسكي للنص فسنهتدي إلى أنَّ الانسجام أشمل، وأعم من الاتساق، كما أنَّه أعمق منه في الآن نفسه ؛ لأنَّ المتلقي في بحثه عن تماسك الانسجام لا يكتفي بالعناصر اللسانية التي تكون البنية السطحية للنص، بل يتعداها إلى ما سواها ؛ أي التولج في البنية العميقة للنص للبحث عن المكون الدلالي الخفي الذي يشكل تلك العلاقة الجدلية بين البنية العميقة والبنية السطحية للنص.

وما كان ذلك كذلك إلا لأنَّ «النص ينتج معناه إذن بحركة جدلية، أو تفاعل متميز بين أجزائه، ومن ثم ينظر إلى ذلك الانسجام الداخلي بين الدلالات الجزئية، وليس إلى ذلك الانتقال المعهود والمنظم من الجزء إلى الكل».[٩٣]

يتطلب الانسجام في نظر دي بوجراند إجراءات كافية لإيجاد الترابط المفهومي Conceptual connectivity تتكون وسائل الانسجام من:

١- العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص.

٢- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.

٣- السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية.

يتدعم الانسجام بتفاعل المعلومات التي يعرفها النص مع المعرفة السابقة بالعالم.[٩٤]

يتحقق المسار الذي يسلكه المتلقي لاكتشاف الانسجام في مرحلتين:

٩٣- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص٧٥.

٩٤- دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٣.

المرحلة الأولى: مرحلة بناء تصور للنص، يكون ذلك عندما يستكشف المتلقي العلاقات الداخلية التي تبني النص، وتجعل بعضه يشد بعضه الآخر.

المرحلة الثانية: مرحلة إدماج تصور النص في معرفة المتلقي للعالم، إذا قبلت معرفة العالم التصور المبني للنص، فسيكون النص منسجمًا.[٩٥]

وقد عمق هذا التصور للانسجام كل من براون و يول (١٩٨٣)، فالانسجام في نظر هذين الباحثين يتشكل خارج النص، وليس في داخله، فهو عملية تأويلية يقوم بها المتلقي بمعزل عن قصد المتكلم أو الكاتب، فالانسجام من ههنا «ليس شيئًا موجودًا في الخطاب ينبغي البحث عنه للعثور عليه، وإنَّما هو شيء يبنى. ليس هناك نص منسجم في ذاته، ونص غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي، بل إنَّ المتلقي هو الذي يحكم على نص بأنَّه منسجم، وعلى آخر بأنَّه غير منسجم (...) التركيز على انسجام التأويل، وليس على انسجام الخطاب».[٩٦]

خاتمة البحث

ينتهي بنا مآل التبحث إلى أنَّ التجربة اللسانية العالمية ماانفكت تؤسس لنفسها مرتكزات علمية، وتراكمات معرفية ظلت تعيد نفسها باستمرار في المسار التحولي للنظرية اللسانية المعاصرة، تلك التراكمات التي مابرحت تتجدد في سيرورة دائمة، وتسلك سبيلها النظري والإجرائي إلى أنْ أثمرت، وآتت أكلها في لسانيات النص، أو اللسانيات التداولية أو هما معًا.

ومن هذا المنطلق فإنَّ المقاربة اللسانية النصية أضحت مركز استقطاب في الثقافة اللسانية المعاصرة، فهي مقاربة تستمد أصولها من إرث المعارف السابقة

٩٥- ينظر محمد خطابي، مرجع سابق، ص ٦.

٩٦- Voir، G. Brawn et G. Yule، Discourse analysis Cambridge University،press p٢٤٤. ١٩٨٣
أورده محمد خطابي لسانيات النص ص ٥١

التي تعاملت مع النص بكيفية من الكيفيات، وظل هذا الإرث يُثْبِتُ حضوره في المرجعية النظرية التي ما فتئت تقدم الأدوات العلمية والمنهجية الكافية لإيجاد إجابات علمية دقيقة للتساؤلات الافتراضية التي تثيرها الإشكاليات العلمية والمنهجية الكبرى في الثقافة اللسانية النصية.

استطاعت لسانيات النص أنْ تؤسس لنفسها جهازًا من المفاهيم والاصطلاحات، تنماز به نظريًا وإجرائيًا، فتعزز حضورها بين المعارف والعلوم التي تنتمي إلى فضاء النص المنجز في الثقافة الإنسانية، وهي إنْ كانت تعتمد على النتائج المحققة في الدراسات اللسانية السابقة، فهي تتجاوزها في الآن نفسه؛ لأنَّها انفردت بآلياتها المنهجية، وتميزت بموضوعها المحدد سلفًا في البيئة النصية ودون سواها.

ومن ههنا فإنَّ لسانيات النص، بما تمتلكه من تكثيف نظري وإجرائي، أضحت منهجًا بديلاً عن المناهج اللسانية السابقة التي ما فتئت تتمركز حول النسق والبنية والجملة، فإذا هي، حينئذ، استمرارية مُعدِّلة للمقاربات اللسانية السابقة، تنفرد بمرجعيتها المعرفية التي تؤطرها، ومفاهيمها واصطلاحاتها التي تعززها وإجراءاتها التطبيقية التي تفعلها؛ فهي إذ ذاك انصراف نحو النص، لمقاربته باسترفاد معايير النصية (Textualité / Textuality)، وتجاوز معايير النحوية (Grammaticalité / Grammaticality) التي كانت مهيمنة على المقاربات اللسانية السابقة (سلطة الجملة)، فاكتسب النص شرعية الانتماء إلى البحث اللساني.

مراجع البحث

أولاً: المراجع العربية:

١- أحمد حساني:

أ- دراسات في اللسانيات التطبيقية - حقل تعليمية اللغات - الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعة الجزائر، ٢٠٠٩.

ب- السياق والتأويل من الإشكالية الفيلولوجية إلى الإشكالية اللسانية، مجلة الموقف الأدبي - مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد ٣٩٢ كانون الأول ٢٠٠٣.

ج- مباحث في اللسانيات، الطبعة الثانية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي ٢٠١٣.

٢- **أحمد مومن**، اللسانيات: النشأة والتطور ط٢، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (٢٠٠٥).

٣- **جميل عبد المجيد**، البديع بين البلاغة العربية ولسانيات النص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨.

٤- **الحاج صالح**، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، عدد٢. الجزائر. ١٩٧٢.

٥- **خولة طالب الإبراهيمي**، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر ٢٠٠٠.

٦- **الزناد الأزهر**، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب. بيروت لبنان (دت).

٧- **سعد مصلوح**، نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مجلد١٥ عدد١، ٢ يوليو اغسطس ١٩٩١.

٨- **سعيد حسن بحيري**، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ١٩٩٨.

٩- **سعيد يقطين**، انفتاح النص الروائي ، النص السياق، المركز الثقافي العربي بيروت والدار البيضاء، ١٩٨٩.

١٠- **صالح الكشو**، الوضع الابيستمولوجي للسانيات، مجلة المعرفة، عدد ٢٦٦، أبريل ١٩٨٤، دمشق.

١١- **صبحي إبراهيم الفقي**، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١، القاهرة.دت.

١٢- عبد السلام المسدي:

أ- الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل ألسني في نقد الأدب، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس ١٩٧٧.

ب- قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٤.

١٣- **عبد القادر المهيري وآخرون**، أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس ١٩٨٦.

١٤- **مازن الوعر**، النظريات النحوية والدلالية في اللسانيات التحويلية والتوليدية، مجلة اللسانيات، عدد٦) ١٩٨٢).

١٥- **محمد خطابي**، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩١.

١٦- **محمد وطاس**، أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم عامة والعربية للأجانب خاصة، المؤسسة الوطنية للكتاب ١٩٨٨ الجزائر.

١٧- **نايف خرما**، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة عالم المعرفة، الكويت ١٩٧٨.

١٨- **نزار التجديتي**، إنتاج النص في نظرية زيغفريد شميت مجلة علامات ج٤١ م١١ سبتمبر ٢٠٠١.

١٩- **يوسف نور عوض**، علم النص ونظرية الترجمة ، ط ١، دار الثقة للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة، السعودية، ١٤١٠.

ثانيًا: المراجع الأجنبية المترجمة:

٢٠- **ج.ب. براون وج. يول**، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، السعودية، ١٩٩٧.

٢١- جورج مونان:

أ- علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة نجيب غزاوي مؤسسة الوحدة، دمشق، دت.

ب- مفاتيح الألسنية، ترجمة الطيب البكوش، تونس، ١٩٨١.

٢٢- **جون سيرل**، تشومسكي والثورة اللغوية، مجلة الفكر العربي عدد ٨، ٩ يناير، مارس (١٩٧٩).

٢٣- **روبرت دي بوغراند و لفغانغ دريسلر**، مدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة و علي خليل حمد، مركز نابلس للكمبيوتر الطبعة الأول ١٩٩٣.

٢٤- **روبرت دي بوجراند**، النص والخطاب والإجراء، ترجمة الدكتور تمام حسان، الطبعة الأولى، عالم الكتب القاهرة. ١٩٩٨.

٢٥- **زتسيسلاف وأورزنياك**، مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ط١ ٢٠٠٣.

٢٦- فان دايك:

أ- النص بنى ووظائف مدخل أولي إلى علم النص، ترجمة منذر عياشي، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت ٢٠٠٤.

ب- علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ٢٠٠١.

٢٧- **فرانك بالمر**، مدخل إلى علم الدلالة، ترجمة خالد محمود جمعة، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة الأولى ١٩٩٧.

٢٨- **فولفجانج هاينة من**، ديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، نشر جامعة الملك سعود ١٩٩٩.

٢٩- **كلاوس برينكر**، التحليل اللغوي للنصوص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ترجمة سعيد حسن بحيري مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ط١، ٢٠٠٥.

٣٠- ياكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الوالي ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء ط١ المغرب ١٩٨٨.

ثالثًا: المراجع الأجنبية:

31- **Andre Martinet**, Éléments de linguistique générale, Armand Colin, Paris.1980.

32- Denis Slakta:

a- Sémiologie et grammaire de texte. Pour une théorie des pratiques discursives, 2 tomes, Paris X-Nanterre 1980 .

b- Introduction à la grammaire de texte, Actes de la session de linguistique de Bourg-Saint-Maurice, publications du conseil scientifique de la Sorbonne1977.

33- **Dominique MAINGUENEAU**: «À propos de la grammaire de texte». In: Initiation aux méthodes de l'analyse du discours. Hachette: Paris, 1976.

34- **Ferdinand de Saussure**, Cours de linguistique générale. Édition critique préparée par Tullio de Mauro. Paris: Payot 1983.

35- **Jean Dubois et autres**, Dictionnaire de linguistique, Paris, Larousse. 1973.

36- **Jakobson**: Questions de poétique, Seuil, Paris, 1973.

37- Jean-Michel Adam:

a- Eléments de linguistique textuelle Théorie et pratique de l'analyse textuelle,Pierre Mardaga, Bruxelles, Liège. 1990.

b- L'émergence de la linguistique textuelle en France.Revue de l'Université de Lausanne (Suisse), Vol. 23, nº 2, Julho/2010.

38- **Lita Lundquist**, La Cohérence textuelle: Syntaxe, Semantique, Pragmatique. Copenhague 1980

39- Noam Chomsky:

a- Aspects de la théorie syntaxique, tra : Jean-Claude Milner, Éditions du Seuil, 1991.

b- Structures syntaxiques: trad de l'anglais par Michel Braudeau, Éditions du Seuil,1969.

40- **Piotrowski,** D: Dynamiques et structures en langue, C.N. R.S Paris 1997.

41- **Rastier François,** Le probléme épistémologique du contexte et le statut de l'interprétation dans les sciences du langage. Revue: Langages no 129 mars 1998 Paris, p 104.

Abstract

The Textual Linguistic Foundations
- Research in the Knowledge Bases and Process Principles -

Prof. Ahmed Hassani

The distinctive characteristic of the structure, which is a significal sings system, necessitates knowledge integration, and the convergence of applied procedures to approach texts produced in human culture. As a consequence, texts linguistics occupies an important scientific and methodological place, to find answers sufficient and scientific for text questions, and to overcome the difficulties of the reader with different references of the text.

This study seeks to bring answers to different questions related to the current international experiences of texts linguistics, and the impact in the Arabic modern linguistics culture. we state some of them :

How can we scientifically and deeply investigate the current international epistemological and methodological experiences in the field of texts linguistics to promote the reading culture and update the procedures and techniques of text explanation and interpretation ?

What effective ways to move easily from structural-linguistic to discursive-textual competencies linguistics? how can we integrate discourse approach into texts linguistics or deliberative linguistics or into both of them ?

To what extent could texts linguistics studies establish its own system of concepts and terminologies to strengthen its existence in the field of culture of texts ?

Are the practical actions applied by text linguistics sufficient to find a methodological alternative that guarantees their objectivity, legitimacy as well as continuity ?